بين المد والجزر

لإيليا أبو ماضي

سيّرت في بحر الحياة سفينتي ... واخترت قلبي ان يكون امامي
فجرت على الامواج قصراً من رؤى ... ملء الفضا ملء المدى المترامي
وأقلّ منها البحر حين اقلّها ... دنيا من الاضواء والانغام
ومشى الخيال على الحياة بسحره ... فاذا الهوى في الماء والاكمام
واذا الزمان ازاهرٌ نواحةٌ ... والشط هيكل شاعرٍ رسام
واذا الشباب ملاعبٌ ومراقصٌ ... واذا انا من صبوة لغرام
أتلهّف اللذات غير محاذرٍ ... وأعبّ في الزلات والآثام
لا اكتني واخاف اني اكتني ... فكأنما في الاكتفاء حمامي
وكأن هدبي ان تطول ضلالتي ... وكأن ربّي ان يدوم اوامي
مرّت بي الاعوام تتلو بعضها ... وانا كأني لست في الاعوام
كالموج ضحكي كالغناء ترنحي ... كالفجر زهوي كالخضم عرامي
حتى اذا هتف المشيب بلمتي ... ودنت يد الماحي الى أحلامي
صرخ «الحجى» بي ساخطاً متهكماً ... «هذا الفنى شرٌّ من الاعدام»
«حتى متى تمشي بغير نظام؟ ... حتى متى تمشي لغير مرام؟»
«اسلمتني «بالقلب» وهو مضللٌ ... فاضرّني واضرك استسلامي»
«يا صاحبي أطلقني من سجن الرؤى
أنا تائه!
... أنا جائع!
... ... أنا ظام»

***

وأراد عقلي ان يقود سفينتي ... للشط في بحر الحياة الطامي

فطويتُ أعلام الهوى وهجرتها ونسيت حتى انها أعلامي
وحسبت آلامي انتهت لما انتهى فاذا النهاية أعظم الآلام
واذا الطريق وسارس ومخاوف واذا أنا من هبوةٍ لقتام
أبغي الرّواء ولم يكن من مطلبي وأرى الجناك بناظرٍ متعام
وأشيد مثل الناس مجداً زائفاً واشد حول الروح ثوب رغام
فاذا انا والارض ملكي والسما قد صرت عبد الناس، عبد حطامي
فتضايق القلب السجين وقال لي « يا أيها الجاني تفت حياتي !
« اقفر بالاحلام وروض ضاحكٌ فاذا تلاشت فالرياض سوامي »
« اين العيون تذيبني حركاتها وتموت في سكناتها آلامي »
« وأطل من أعدابها الكرى على ظلٍّ وانداءٍ وزهرٍ نامِ »
« لما عصاني ان أشب ضرامها اعيا عليها ان تشب ضرامي »
« الخمر ملء الجام لكن قد مضى شوقي الى الخمر التي في الجام »
« أسلمتني لعقل فهو مضللٌ فاضربي واضربك استسلامي »
« انظر ألست تراك في اوهامه أشقى وأتعس منك في أوهامي »
« اللهِ ؟ من ذا يشتريه كله مني بليل صبابة وغرام »

« يا صاحبي اطلقني من سجن النهى

أنا تائهٌ !

انا جائعٌ !

انا ظامٍ ؟

***

لا تسألوني اليوم عن تيارتي تيارتي خشبٌ بلا انغام !